دلالة اللفظ "قنط" في القرآن الكريم

*هيا زايد المطيري، جهاد النصيرات**

ملخص

تتناول هذه الدراسة مادة (ق ن ط) في القرآن الكريم، وذلك من خلال دراسة دلالية سياقية، تتناول هذه اللفظة وتقاليبها ونظائرها بالدرس الدلالي، من خلال دراسة إستقرائية تحليلية، وذلك بغية الوقوف على معاني هذه الألفاظ، ومعرفة العلائق بينها، إضافة إلى إدراك الفروق اللغوية فيما بينها من أجل إثبات اختصاص كل لفظة بسياقها الذي جاءت فيه، مما يكشف عن رافد مُهِمٍّ من روافد الإعجاز القرآني، حيث كشفت الدراسة عن اختصاص كل لفظة بسياقها الذي جاءت فيه بحيث لا يصلح أن يسد غيرها مسدها.

الكلمات الدالة: ألفاظ، سياق، قنوط، دراسة دلالية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد،،،

فإن كتاب الله عز وجل هو النور المبين والصراط المستقيم والحجة الباقية إلى يوم الدين، من اتبعه نجى ومن أعرض عنه هلك، أودع الله فيه موسوعة العلوم ليجد المسلم فيه العالم أو المتعلم بغيته، من أجل ذلك صرف أئمة السلف هممهم وجهودهم ونفائس أوقاتهم، ووجهوا عنايتهم لدراسة كتاب الله العزيز، ينهلون من معينه ويتزودون من علومه، ويجتهدون في تفسيره، يقفون على ظاهر ما تشابه منه، ويفوضون الكيفية إلى الله تعالى، ولا يقطعون بمراده لله، ويبحثون وراء معانيه، عن طريق قراءته ومدارسته، ومناقشته والبحث فيه، بحسب قواعد التفسير المعتبرة، بالإضافة إلى دراسة كل العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم، والوقوف على بلاغته وتذوق روعة إعجازه، من خلال فهم أساليبه في النظم.

مشكلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما دلالة اللفظة (قنط) في القرآن الكريم، وينبثق عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

1-ما معنى لفظ " قنط" في اللغة والاصطلاح؟

2-ما العلاقة بين تقاليب مادة "قنط"؟

3-ما دلالة لفظ "قنط" في السياق القرآني للآيات التي جاءَ فيها؟

4-ما الألفاظ المقاربة من لفظ "قنط" في القرآن الكريم؟ وما الفروق بينها؟

أهداف البحث

1-بيان معنى "قنط" لغة واصطلاحا.

2-معرفة العلاقة بين تقاليب مادة " قنط" وما استعمل منها بالإضافة للمهمل.

3-استقراء دلالة لفظ "قنط" في الآيات التي وردت فيها وأقوال المفسرين فيها.

4-تتبع الألفاظ المقاربة لدلالة اللفظ " قنط" في القرآن الكريم والوقوف على الفروق بينها.

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2017/4/23، وتاريخ قبوله 2017/10/21.

© 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الدراسات السابقة

ليس هناكَ دراسة مستقلة عن لفظ "قنط" وتصريفاتها واشتقاقاتها في القرآن، وإنما هي إشارات مبثوثة في كتب المفسرين، وكتب اللغة والبلاغة.

خطة البحث

اقتضت طبيعةُ هذا البحث أن يكونَ في مقدمة ومَبْحَثَيْنِ وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: معنى "قنط" لغة واصطلاحا وتقاليبُ مادَّتِه.

المطلب الأول: معنى "قنط" في اللغة.

المطلب الثاني: معنى "قنط" في الاصطلاح.

المطلب الثالث: تقاليب مادة "قنط" والعلائق بينها.

المبحث الثاني: لفظ "قنط" في القرآن الكريم، والألفاظ المقاربة له

المطلب الأول: اللفظ "قنط" ودلالته في السياق القرآني.

المطلب الثاني: الألفاظ المقاربة من لفظ "قنط" في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الفروق بين هذه الألفاظ واختصاص كل لفظ بموضعه.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج.

المبحث الأول
معنى "قنط" لغة واصطلاحا وتقاليبُ مادَّتِه

المطلب الأول: معنى "قنط" في اللغة

جاء المعنى اللغوي للفظ "قنط" عند أهل اللغة والمعاجم، بأنه من قنِط يقنَط قُنوطاً فَهُوَ قانِط، وقَنَطَ يَقنِطُ وقَنَطَ يَقْنُطُ، وقنط من القُنوطُ بمعنى الإياس واليأس من الشيء، وقيل: أشد اليأس من الشيء، واليأس من الخير، ومن الرحمة أيضا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 53]؛ أَي لَا تيأسوا، وقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: 55]، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: 56]، ويقال: قلب المؤمن بالرجاء منوط، والكافر آيس قنوط، وكذلك: شر الناس الذين يُقَنِّطُونَ الناس من رحمة الله أي يؤيسونهم، ومنه القَنْطُ: المنعُ[1].

ويتضح من استقراء أقوال أهل اللغة والمعاجم مع مراعاة تدرج اللفظة تاريخيا، أن لفظ "قنط" في معناه اللغوي: هو أعلى مراتب اليأس من الشيء وأشده، وانقطاع الرجاء من الحصول عليه، كاليأس من رحمة الله ومن كل خير.

المطلب الثاني: معنى "قنط " في الاصطلاح

أما تعريف "قنط" و"القنوط" اصطلاحا عند العلماء، فقد ذكروا أن للقنوط معانيَ عديدة، وعند التأمل يتبين أن هذه المعاني متقاربة، وليست مختلفة المدلول، فمن هذه المعاني، تعريف الأصفهاني وتابعه في ذلك السمين الحلبي: "القنوط: اليأس من الخير"[2]، وعرفه أبو حيان بأنه أتمُّ اليأس[3]، وابن عادل بأنه شدة اليأس من الخير[4]، وخصه الشوكاني بأنه الإياس من الرحمة[5]، أما الكفوي فقد كانَ أكثر دقة من سابقيه فيقول: كل يأس في الْقُرْآن فهو قنوط؛ إِلا التي في "الرَّعْد"[6] فإنها بمعنى العلم، واليأس: هو انقطاع الرَّجاء، يقال: يئست فأنا يائس وآيس، وأيست لغة فيه أيضا[7]، وذكر التميمي بأن القنوط استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم وينافيان كمال التّوحيد[8].

فهذه المعاني كلُّها متقاربةٌ فيما بينها، ويُعْلَمُ منها أنَّ (القنوطَ) أشد اليأس لاستبعاد حصول الفرج من الله وانقطاع الأمل في الخير، وذلك عندما يصيب الإنسان كرب وهم، ويرى أن الدنيا قد أطبقت عليه فلا يكاد يرى بصيص أمل، وييأس من رحمة الله عز وجل وفضله من أن تشمله، ليفرج عنه كربه وهمه، وفي ذلك سوء ظن بالله وقدح في عقيدة المؤمن، وهي صفة للكافر والمنافق.

المطلب الثالث: تقاليب مادة "قنط"

التقاليب المحتملة لهذا الجذر الثلاثي ست حالات من التقاليب، في باب القاف والنون والطاء، إلا أن كتب اللغة ضمت أربعة منها مستعملة، ويبقى اثنان مهملان غير مستعملين، وهما "ط ق ن" و "ط ن ق"، إذ لا معنى لهما في لغة العرب، أما ما ورد في معنى المستعمل منها: ق ط ن، ن ط ق، ن ق ط، ق ن ط، فهو كالآتي[9]:

1- قطن: الإقامة؛ قطن الرجل بالمكان إذا أقام به فهو قاطن، والقُطَّان: المقيمون، والقطين: الساكن في الدَّار، ومنه القيطون : أي المخدع في لغة البربر ومصر.

2- نطق: نطَقَ الناطقُ ينطقُ نطقاً أي تكلم، والمنطق: الْكَلَام، يقال هو مِنطيقٌ بليغ، والمِنْطَقُ: كل شيء شددت به وسطك، والنِّطاق: خيط تشدُّه المرأة في وسطها تضمّ بها ثيابها وتسدل عليه إزارها، وإذا بلغ الماء النصف من الشجر يقال: نطقها.وقد جاءت هذه المادة بصيغها واشتقاقاتها المتنوعة اثْنَتَيْ عشرة مرة في القرآن الكريم (تنطقون، ينطق، ينطقون، أنطق، أنطقنا، منطق).

3- قنط: القُنوطُ: الإياس، وقَنَطَ يَقنِطُ وقَنَطَ يَقْنُطُ. وقد جاءت مادة "قنط" وما اشتق منها ست مرات في القرآن الكريم في ستة اشتقاقات: (قنطوا، تقنطوا، يقنط، يقنطون، القانطين، قنوط) ويفهم من هذا التنوع الاشتقاقي أنّ القنوط منهي عنه بكل أشكاله وصوره.

4- نقط: نَقَطَ يَنْقُطُ نقطاً، والنُقطة الاسم، والنَّقْط: نَقْط الْمُصحف وَغَيره بالقلم وَمَا أشبهه، ونَقَطَتِ المرأةُ خدَّها بِالسَّوَادِ تتحسّن بذلك، ونقاط: أَي قطع مُتَفَرِّقَة، واحدتها: نقطة.

ويُلْحَظُ من معاني التقاليب المستعملة لهذه المادة اشتراكها في أنها دالة على حالة ملازمة للشيء لا تنفك عنه، ولا غنى له عنها وبها يعرف؛ لأنها من عوارضه، فالقاطن لا غنى له عن محل إقامته وبها يعرف، والناطق لا يستغني عن نطقه وبه يعرف، والحروف لا تستغني عن نقطها وبها تُمَيَّزُ، والقنوط حالة لا تنفك عن الإنسان؛ فهي من عوارضه النفسية التي تعتريه، وقد تلازمه ويعرف بها.

فقنط بمعنى اليأس وهو شعور قد قطن وسكن وأقام في النفس وبلغ مبلغه، فكأنما انتطق القانط الحزن واليأس وصار ملازما له محيطا به، فلا يتأمل أي انفراجةٍ له، تُشْعِرُه بالرغبة والتطلع إلى الخروج من دائرة الحزن والانكسار، ومن ثَمَّ ينقطِعُ أمله في الخير، وكأنما تلوَّن ونقط فؤاده بالسواد من شدة تشاؤمه.

ويُلْحَظُ أيضاً أنّه لم يرد من هذه التقاليب الأربعة المستعملة في لغة العرب إلا تقليبان في القرآن الكريم، وهما: (قنط، نطق).

المبحث الثاني
لفظ "قَنَطَ" في القرآن الكريم والألفاظُ المقاربةُ له

المطلب الأول: اللفظ "قَنَطَ" ودلالتُه في السياق القرآني

وردت كلمة "قنط" وما اشتق منها، على النحو الآتي:

قنطوا بوزن الفعل الماضي:قال تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝ [الشورى:28] ؛ بعد أن يئسوا من نزوله، تقنطوا بوزن الفعل المضارع: قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ [الزُّمَر:53]؛ أي: لا تيأسوا، القانطين بوزن اسم فاعل، ويقنط بوزن الفعل المضارع: قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝ [الحجر 55 :56]؛ أي: اليائسين، قنوط بوزن فَعُول: لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ [فُصِّلَت:49]؛ أي شديد اليأس، يقنطون بوزن يفعلون بفتح العين : وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ۝[الروم:36].

أما السياق القرآني الذي جاءت فيه، وأقوال المفسرين حولها فهي كالآتي:

قوله تعالى: قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝ [الحجر 55 :56]، جاء لفظ "قنط" مرتين في الآية الكريمة في سياق الحديث الذي دار بين سيدنا ابراهيم عليه السلام وضيوفه من الملائكة الأبرار، الذين جاءوا بالبشارة له بأنه سيرزق بغلام بعد أن بلغ من العمر عتيا، وينبغي ألاّ يستغرب من ذلك، ولا يكونَ من الذين يقنطون وييأسون من فضل الله، فجاء رد إبراهيم عليه السلام لضيوفه في نفي القنوط عن نفسه: بأنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الضالون، فلا يخيب من رجاه تبارك وتعالى[10]، فالله قادر على خلق بشرٍ بغير أبوين، وكان مقصده عليه الصلاة والسلام هو استعظام قدرته ونعمته تعالى، ويدل على ذلك قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه[11].

فدلالة السياق تنص على أن القنوط هو اليأس، وانقطاع الرجاء عن تحقيق أمل وأمنية لطالما كان الإنسان يتمنى تحقيقها، ولكنها

بعيدة المنال وذلك لسوء ظنه بالله عز وجل، وهذه من صفات الكفار الضالين، فالمؤمن يُحسن الظن بربه في تحقيق أمله فلا يداخله شك ولا خيبة ولا ينقطع رجاؤه به، قال الرازي: "لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بكونه تعالى قادرا على ذلك، وعالما باحتياج ذلك العبد إليه، وأنه تعالى منزه عن البخل والحاجة، فالجهل بكل هذه الأمور سبب للضلال، لذلك قال: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾"[12]، وقد جاء القنوط منفيا عن المؤمن مثبتا بحق الكافر لورود الاستفهام (ومن يقنط)، "هذا الاستفهام معناه النفي؛ ولذلك وقع بعده الإيجاب بـ (إلا)".[13]

وفي قوله تعالى: وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾[الروم:36]، فإن المراد بالآية الكريمة بيان أحوال الناس عندما ينعم عليهم الله عز وجل بالخصب والرخاء والعافية في الأبدان والأموال فإنهم يفرحون بذلك، وفي المقابل إن أصابتهم منه شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان، بما أسلفوا من سيئ الأعمال والمعاصي بينهم وبين الله، إذا هم يقنطون و ييأسون من الفرج[14]، فقد جاء شعور الفرح في الآية في مقابل الشعور بالقنوط، لتبين حالة الإنسان وطبيعة النفس البشرية أمام ما يعتريها من حصول مرغوب أو فقدها له، وانعكاس ذلك على نفسية الإنسان ليحزن ويدخل في مرحلة القنوط، ويجهل أن أسبابَ هذه الحالة إنما هي اقترافُ يديه من ذنوب ومعاصٍ، جلبت عليه سخط الله وغضبه.

لذا ينبغي على المؤمن أن يتعرف على الله في الرخاء والشدة، ويعزز صلته بالله في جميع الأحوال، فالمنقطع عن كل خير هو الذي قطع صلته بالله تبارك وتعالى، قال الرازي: ينبغي أن يُعبد الله في الشدة والرخاء، فقوله ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ إشارة إلى دنو همتهم ففرحهم هنا مذموم، لأن فرحهم يكون بما وصل إليهم لا بما وصل منه إليهم، علما بأن الفرح بالرحمة مأمور به لقوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: 58]، وفي قوله ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ إذا للمفاجأة للدلالة على أنهم لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله يفرج عنهم[15].

أما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر:53]، فقد جاء فيها النهي عن القنوط من رحمة الله، لمن أسرف في المعاصي ويئس من قبول توبته، فالله عز وجل يغفر جميع الذنوب إلا الشرك به، وتعزز الآية جانب الرجاء في النفس بأكثر من تأكيد، ولا عجب إن وصَفَ كثير من السلف هذه الآيةَ بأنها أعظم آية في الرجاء؛ فقد جاء نظم الآية دالاً على هذا، فقد وسم المسرفين بأنهم عباده وأضافهم إليه إضافة تشريف، وجعل إسرافهم في المعاصي عائداً وباله عليهم دون غيرهم، فكأنهم في وضع محزن أن رجع إسرافهم في الذنوب إجراماً بحق أنفسهم قبل كل شيء، ثمّ نهاهم عن القنوط متبعاً هذا النهي بثمانية مؤكدات، حيث لم تحظ آية أخرى ختمت بهذين الاسمين الجليلين بهذه المؤكدات، قال الرازي:" نهاهم عن القنوط وفي ذلك أمر بالرجاء، فالكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم، والرحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل، وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد، ولو قال: يغفر الذنوب لكان المقصود حاصلا، لكنه أردفه باللفظ الدال على التأكيد فقال: جميعا، وهذا أيضا من المؤكدات"[16].

وفي قوله تعالى: لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ [فُصِّلَت:49]، جاءت الآيات في وصف الكافر أيضا كما مر معنا في الآيات السابقة، وفيها تحذير للمؤمن أن ينهج نهجه، قال الطبري: "لا يمل الكافر بالله من دعاء الخير، ومسألته إياه ربه، وإن ناله ضرّ في نفسه، أو احتباس من رزقه فهو يَئُوس قنوط أي فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، وقدرته على كشف ذلك الشرّ النازل به عنه"[17]، وقد جاء الوصف بالقنوط واليأس بصيغة المبالغة، حيث جاءتا بصيغة فعول، ومن طريق التكرير فهو ليس يؤوسًا فحسبُ، بل قنوط أيضًا، وفي حالة القنوط يظهر على القانط أثر اليأس فيتضاءل وينكسر، أي: يقطع الرجاء في فضل الله وروحه، وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى: إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ [يوسف: 87][18].

قال الرازي: "فيؤس قنوط يعني أنه في حال الإقبال ومجيء المرادات، لا ينتهي قط إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز بها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسا قانطا، فالانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له إلى هذا اليأس الكلي، يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال، واليأس من صفة القلب، والقنوط أن يظهر آثار اليأس في الوجه والأحوال الظاهرة"[19]، وبدأ بصفة القلب اليأس لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار[20].

فالله تبارك وتعالى يكل اليائس إلى نفسه، وينتهي به ذلك إلى العجز، ثم إلى السخط، ثم إلى الكفر، فيجلب ذلك إلى نفس الإنسان الانزعاج والكآبة، وغير ذلك من المهلكات التي تبعث في قلبه الشك بربه، وتدفع إلى نفسه القنوط، وتجيل بخاطره حماقات العقل، ونزغات الشيطان وقد ينتهي به ذلك إلى الانتحار، ولو أنه آمن بالله مكان إيمانه بنفسه، لأرضاه بما عنده وأقنعه بما لديه ؛ ولأبعد عنه هواجسه ومتاعبه، ولأبدل خوفه أمنا، ولكن الإنسان يؤس كفور[21].

وفي قوله تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ [الشورى: 28]، بيّنت الآية الكريمة

السابقة لهذه الآية، أنّ لحكمة الله في طبيعة البشر، إذا بسط لها في رزقها طغت وتجبرت، لذلك يردها لأصلها وتواضعها، وأنه تعالى يرزقهم ويعطيهم بحسب حاجتهم بلا ضرر.

قال الرازي: "التوسع موجب للطغيان، فكلما اتسع رزق العرب، ووجدوا من المطر ما يرويهم، ومن الكلأ ما يشبعهم، أقدموا على النهب والغارة، لأن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية وهو التكبر، وإذا وقع في شدة و بلية ومكروه انكسر، فعاد إلى الطاعة والتواضع، فالله عز وجل لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم، لأن تلك الزيادة تضرهم في دينهم"[22].

ويُمْكِنُ هنا تسجيلُ الملحوظاتِ الآتية:

1. لم ترد هذه المادة (قنط) إلا في السور المكية دون المدنية، حيث جاءت في خمس سور (الحجر، الروم، الزمر، فصلت، الشورى) وكأنّها تحمل إشارة إلى ضرورة نبذ هذه الصفة من الصف المؤمن، فالقنوط لا يتفق مع الإيمان القويم.
2. وردت هذه اللفظة بالفعلية والاسمية، لتعم سائر أحوال الجملة العربية، وجاءت من الفعلية بالماضوية والمضارعية التي تعم الحال والاستقبال، وجاءت من الاسمية باسم الفاعل وصيغة المبالغة لتعم الأحوال كلها للقنوط.
3. جاء النهي عن القنوط في موضعين، وجاء في موضع الشرط في موضعين، وجاءت في الموضعين الآخرين وصفاً لحال مضت أو قائمة، ودلّ ذلك على نهي القرآن عنه بوسائل متنوعة.
4. أسندت هذه اللفظة للأنبياء في حوار الملائكة مع إبراهيم عليه السلام، وأسندت للمكذبين الضالين والمسرفين في الذنوب والمعاصي، وأسندت للناس جميعاً، وقد دلّ ذلك على أنّ دائرة القنوط وسيعة جداً وممتدة، وإن كان بين قنوط الأنبياء وغيرهم بون شاسع.
5. جاء التحذير من القنوط للأفراد والجماعات، فهو مرض خطير على كافة المستويات، ويفهم من هذا أنّه مرض معد وينتشر بسرعة.
6. أظهرت الآيات أن القنوط حالة ترتبط بنفاذ الأسباب واستفراغ الجهد البشري، من غيث أو مولود، أو وقوع في مصيبة أو شر، بحيث لا يرتجي القانط منها فرجاً، فقد أغلقت بزعمه أسباب الفرج.
7. وردت هذه اللفظة في موضع الخطاب مرتين (فلا تكن من القانطين، لا تقنطوا من رحمة الله) وباقي المواضع الأربعة جاءت بضمائر الغيبة، وربما دلّ ذلك على كراهته على سائر أحواله، وربما دلّ على ضرورة تنوع الأساليب في مواجهته.
8. كشف القرآن هذه الحالة المرضية وأزال آثارها بعطاء مادي من غيث أو ولد أو كشف ضر، وبعطاء معنوي من رحمة ومغفرة وهداية، سواء أكان هذا العطاء دنيوياً أم أخروياً.

المطلب الثاني: الألفاظ المقاربة من لفظ "قنط" في القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم ألفاظ قريبة من لفظ " قنط" وهي الإبلاس واليأس والسآمة، فهي تعبر عن الحالة النفسية ذاتِها التي تعتري الإنسان، عند انقطاع الأمل والرجاء في الحصول على المأمول، وإن كان لابد من فروقٍ دقيقة بينَ هذه الألفاظ، فهي على النحو الآتي:

لفظ "بلس" أي: آيس، والإبلاس هو اليأس والحزن والكآبة، قال الخليل بن أحمد: "بلس: المبلس: الكئيب الحزين المتندم، وسمي إبليس لأنه أبلس من الخير وقيل: لعن، والمبلس: اليائس"[23].

وقد جاء لفظ "بلس" باشتقاقاته بالمعنى المراد في المواضع القرآنية الخمسة الآتية ؛ قوله تعالى:ُ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَۢ[الأنعام: 44]، وقوله: حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ [المؤمنون: 77]، وقوله: وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ [الروم: 12]، وقوله: وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ [الروم: 49]، وقوله: لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ [الزخرف: 75].

تصور الآيات الكريمة حالات النفس عند اليأس وانقطاع الأمل وفوات تحصيل خير، وفي حالة المصاب والنقص والفقد، تدخل النفس في اليأس والحزن والكآبة، وهي الحالةُ ذاتُها في القنوط.

ويلحظ هنا أنّها جاءت في أربع سور مكية، تماماً مثل لفظة (قنط) مما يؤكد أنّها حالة لا ينبغي أن تكون في الصف المؤمن، ولكن يلحظ هنا أنّ الإبلاس كان في قضايا كبيرة وخطيرة تتعلق بالعذاب الذي يلاقيه المجرمون، وهذا يرتبط بمعناها من حالة اليأس التي يشوبها الحسرة والندم، ويلحظ أنّ الآية الثانية من سورة الروم وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ[الروم: 49]، فقد

كان إبلاسهم هنا من نزول الغيث مثلَ قنوط الناس من نزول الغيث في آية الشورى المتقدمة.

يلاحظ أيضاً أنّ هذه اللفظة جاءت في جلّ مواضعها وصفاً للكافرين بهيئة الاسمية الدالة على الجمع، وفي الموضع الوحيد الذي جاءت فيه بالفعلية كانت مسندة إلى جمع المجرمين، وربما كان في هذا إشارة إلى أنّ حالة الإبلاس قد تكون حالة عامة في الغالب، تصيب المجتمع كاملاً، وهي حكر على من نزع الله من قلبه الإيمان به.

وأمّا مجيء لفظ" اليأس" في القرآن الكريم، فقد كانَ في ثلاثة عشر موضعاً بصيغ (يئس، يئسن، يئسوا، تيأسوا، ييأس، استيأس، استيأسوا، يؤوس)، وعرفه العلماء بأنه انقطاع الرجاء[24]، وبأنه القنوط وهو نقيض الرجاء أو قطع الأمل[25]، وانقطاع الطمع من الشيء [26]، وقيل: القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته[27]، قال الكفوي:كل يأس في القرآن فهو قنوط[28] وهو بهذا يرى أنّ القنوط أعمّ من اليأس، ومن هنا فالظاهر أنّ اليأس هو إفراط في القنوط، وتجاوز في حالة فقدان الأمل لدرجة القطع بفوات المطلوب.

وقد جاء اللفظ باشتقاقاته في المواضع القرآنية الآتية؛ قال تعالى: ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ [المائدة: 3]، حيث جاءت في معرض ما يحل وما يحرم من الأطعمة، وفي سورة هود قال تعالى: وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ [هود: 9]، وفي سورة يوسف جاءت أربع مرات، وهذا متفق مع طبيعة هذه السورة والمشاعر الحزينة التي صورتها قال تعالى: فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ [يوسف:80]، يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ [يوسف: 87] على لسان يعقوب عليه السلام، الذي لم تنطفئ جذوة الأمل في قلبه، ويلا حظ هنا أنّها جاءت على خلاف آية الرجاء في سورة الزمر، فالنهي هناك انصب على القنوط، وهنا كان منصباً على اليأس، حيث سبقها قول أبنائه له ٗقَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ [يوسف: 85]، ودلّ هذا على أنّ إخوة يوسف أرادوا قطع الرجاء عند أبيهم، مع أنّهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنّ الذئب لم يفترس أخاهم وأنّ الأسباب ممكنة في أن يكون حياً، فأرادوا أن يستيقن أن لا سبيل لتحقيق أمله.

وقال تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ [يوسف: 110]، وقال: وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ [الرعد: 31]، وقال ٗ: وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا [الإسراء: 83]، وقال: وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ [العنكبوت: 23]، وقال : لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ [فصلت:49]، وقال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ [الممتحنة: 13]، وقال: وَٱلَّٰٓـِي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا [الطلاق: 4]، ويلحظ هنا ما يأتي:

1. وردت هذه اللفظة في القرآن المكي والمدني على حد سواء، لكنها جاءت في السور المدنية وصفاً للكافرين (في المائدة والممتحنة)، أو وصفاً للنساء الكبيرات– من المؤمنات أو غيرهن– اللاتي يئسن من المحيض في (الطلاق)، مما يؤكد أنّه تدل على حالة مستعصية من فقدان الأمل.
2. تدل هذه اللفظة على حالة مستعصية من الشعور بها في قضايا دنيوية وأخروية، فقد يئس الكفار من ردّ المسلمين عن دينهم، ويئسوا من أصحاب القبور، ومن الآخرة، ولكنّ هذا اليأس ليس يقينياً قاطعاً بفوات المطلوب بالكلية.
3. أسندت إلى الرسل وإلى المؤمنين وإلى الكفار وبين يأس ويأس بون شاسع.
4. ارتبطت لفظة اليأس مع لفظة القنوط في آية فصلت، وهي وصف لحالة الإنسان إن مسّه الشر، مما يؤكد أن لا ترادف ألبته في القرآن الكريم.

وأمّا لفظة السآمة، فقد جاءت بمعنى الملل[29]، يقول ابن منظور: "السآمة : الملل والضجر"[30]، وأضاف الراغب: "أنها الملالة مما يكثر لبثه فعلاً كان أو انفعالاً"[31]، وقد وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات: واحدة في سورة البقرة آية الدين، والثانية والثالثة في سورة فصلت، قال تعالى: وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ [البقرة: 282]، وقال: ٱۡفَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ [فصلت: 38]، وقال: لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ [فصلت: 49]، فقد جاءت في معرض النهي في سورة البقرة، وهي نهي صريح عن أن يصيبهم الضجر والملالة من

توثيق الدين، وأمّا في سورة فصلت فقد جاءت إخباراً عن حال الملائكة في الأولى، وإخباراً عن حال الإنسان في الثانية.

وقد اجتمعت هذه اللفظة مع لفظتي (قنط) و(يئس) في فاصلة الآية الأخيرة وصفاً لحالة الإنسان إن مسه الشر، وهذا يساعد على التفريق بينها وينفي عنها الترادف كما سيأتي في المطلب الثالث، ومن خلال ما تقدم يمكن الاستنتاج أنّ الإنسان في حال الشدة إن مسّه السوء قد تجتمع فيه هذه الأوصاف جميعها، فيعتريه اليأس والقنوط والإبلاس.

المطلب الثالث: الفروق بين هذه الألفاظ واختصاص كل لفظ بموضعه

جاءت الألفاظ في المطلب السابق بدلالة متقاربة ومتداخلة، إذ ليس في القرآن الكريم ترادف بين ألفاظه، فكل لفظة جاءت لدلالة معينة لا تشاركها لفظة أخرى، بل يمكن القول إنها متقاربة معها وقد يكون الفرق بينهما دقيقًا يميِّزه أهل اللغة المُتَبَحِّرونَ فيها، أما فيما يتعلق بالفرق بين القنوط واليأس والإبلاس، بحسب ما جاء عند بعض العلماء، فالمبلس: هو الساكت من الحزن أو الخوف والحيرة[32]، إذن الإبلاس والقنوط يجتمعان في اليأس من حصول خير، ولكن المبلس تعتريه حالة من الكآبة ممزوجة بالصمت والسكوت والحيرة، ولهذا أسندت للمجرمين والكافرين ولم تسند لغيرهم،بينما القانط قد يكثر من الشكوى والتذمر ويتلفظ بألفاظ تدل على يأسه وقنوطه، وقد تقع من المؤمن وغيره.

أما فيما يتعلق بالفرق بين القنوط واليأس؛ فإن اليأس هو انقطاع الطمع من الشيء، وانقطاع الرجاء القلبي من حصول الخير، والقنوط: قطع الرجاء من الرحمة، ويرى العسكري أنّه أشد مبالغة من اليأس، فإن اليأس يترقى ليصل للقنوط وليس العكس، وبمثله قال ابن حجر الهيتمي فالظّاهر أنّ القنوط أبلغ من اليأس، للتّرقّي إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ [فصلت: 49]، وقد اتفقوا على أن الشخص الّذي يئس من وقوع شيء من الرحمة له مع إسلامه فاليأس في حقه كبيرة اتفاقا، ثم هذا اليأس قد ينضمّ إليه حالة هي أشدّ منه، وهي التّصميم على عدم وقوع الرّحمة له وهو القنوط[33].

ويرى البعض أن ظاهر القرآن يدل على أن اليأس أشدّ من القنوط، حيث حكم على أهل اليأس بالكفر فقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ [يوسف: 87]، وحكم على أهل القنوط بالضلال كما قال تعالى:(وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ [الحِجر :56]، ومعلوم أن كل كفر ضلال، وليس كل ضلال كفرًا، فقد قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ [الشعراء: 20]، وقال- عز وجل- لسيد المرسلين ﷺ : وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:7]،، وليس الضلال في هذه الآيات بمعنى الكفر[34]، والحق أنّ كلا الرأيين له وجهته، وعلى هذا فإنّ الجمع بين اللفظتين (يؤوس قنوط) في آية فصلت قد يكون من باب الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا [الأحزاب:56]، وقوله: وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ [النجم:52] وقد يكون من تقديم الخاص على العام للإشادة بنوعه والتنبيه على أهميته.

وبعض المفسرين له ملحظ آخر؛ قال ابن عاشور: واليأس فعل قلبي هو: اعتقاد عدم حصوله الميئوس منه، والقنوط: انفعال يدني من أثر اليأس وهو انكسار وتضاؤل[35]، فاليأس يتعلق بالضمائر والقنوط يظهر في الجوارح، ولا يتعارض هذا مع ما تمّ تقريره.

أما سببُ القنوط واليأس، فهو اختلالُ التوازن بين عبادتي الخوف والرجاء عند المسلم، فمن غلب رجاؤه خوفه ابتعد عن الطريق، ومن غلب خوفه رجاؤه قنط، والسلامة في اعتدالهما، فحد الخوف هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله- عز وجل- فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، فإن هذا الخوف مذموم، لأن هذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها، وحد الرجاء: ما طيب لك العبادة، وحملك على السير، فهو بمنزلة الرياح التي تسير السفينة، فإذا انقطعت وقفت السفينة، وإذا زادت ألقتها إلى المهالك، بل التوسط والاعتدال مطلوب، لا أن يبلغ به الرجاء إلى حد يأمن معه العقوبة، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[36].

وأمّا السآمة فهي حالة من الضجر والملالة، ويفهم من سياقات ورودها أنّه لا ينبغي للإنسان أن يستسلم لها إن كانت مقعدة له عن فعل واجب، وأنّه ينبغي له أن لا يسأم من فعل الخير. وبهذا فهي حالة معبرة عن الضجر والملالة من دوام أفعال أو انفعالات، بينما القنوط حالة من فقدان الأمل. فالسآمة قد تؤدي إلى اليأس الذي قد يقود للقنوط، وإن اعترى اليأس كآبة ووجوم فهو الإبلاس والله أعلم.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في موضوع الدراسة، ومن خلال الاطلاع على كتب العلماء والمفسرين فيما يتعلق بمحل البحث، نقف مع

أهمِّ نتائج هذه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

1. يلاحظ من معاني التقاليب المستعملة لهذه المادة (قنط) اشتراكها في أنها دالة على حالة ملازمة للشيء لا تنفك عنه، ولا غنى له عنها وبها يعرف، لأنها من عوارضه.
2. مادة (قنط) لها ستة تقاليب، المستعمل منها في لغة العرب أربعة (قنط، قطن، نقط، نطق) غيرَ أنّه لم يرد في القرآن الكريم من هذه التقاليب الأربعة إلا تقليبان وهما: (قنط، نطق).
3. لم ترد هذه المادة (قنط) إلا في السور المكية دون المدنية، حيث جاءت في خمس سور (الحجر، الروم، الزمر، فصلت، الشورى) وكأنّها تحمل إشارة إلى ضرورة نبذ هذه الصفة من الصف المؤمن، فالقنوط لا يتفق مع الإيمان القويم.
4. وردت هذه اللفظة بالفعلية والاسمية، لتعم سائر أحوال الجملة العربية، وجاءت من الفعلية بالماضوية والمضارعية التي تعم الحال والاستقبال، وجاءت من الاسمية باسم الفاعل وصيغة المبالغة لتعم الأحوال كلها للقنوط.
5. جاء التحذير من القنوط للأفراد والجماعات، فهو مرض خطير على كافة المستويات، ويفهم من هذا أنّه مرض مُعْدٍ وينتشرُ بسرعة.
6. أظهرت الآيات أن القنوط حالة ترتبط بنفاذ الأسباب واستفراغ الجهد البشري، من غيث أو مولود، أو وقوع في مصيبة أو شر.
7. جاء في القرآن الكريم ألفاظ قريبة من لفظ " قنط" وهي الإبلاس واليأس والسآمة، فهي تعبر عن الحالة النفسية ذاتِها التي تعتري الإنسان، عند انقطاع الأمل والرجاء في الحصول على المأمول.
8. الإبلاس والقنوط يجتمعان في اليأس من حصول خير، ولكن المبلس تعتريه حالة من الكآبة ممزوجة بالصمت والسكوت والحيرة، بينما القانط قد يكثر من الشكوى والتذمر ويتلفظ بألفاظ تدل على يأسه وقنوطه.
9. الفرق بين القنوط واليأس أنَّ اليأس هو انقطاع الطمع من الشيء، وانقطاع الرجاء القلبي من حصول الخير، والقنوط: قطع الرجاء من الرحمة، وهو أشدُّ من اليأس، وزعم بعضهم أنّ العكس هو الصحيح؛ فاليأس كفر، والقنوط ضلال، وأضاف بعضهم أنّ القنوط يظهر أثره على البدن، من المذلة والانكسار والحزن، بخلاف اليأس الذي محله القلب.
10. وأمّا السآمة فهي حالة من الضجر والملالة، ويفهم من سياقات ورودها أنّه لا ينبغي للإنسان أن يستسلم لها إن كانت مقعدة له عن فعل واجب، وأنّه ينبغي له أن لا يسأم من فعل الخير. وبهذا فهي حالة معبرة عن الضجر والملالة من دوام أفعال أو انفعالات، بينما القنوط حالة من فقدان الأمل.

وفي الختام... نتوجه لله العلي القدير بأن يتقبل هذا العمل، وأن يتجاوز عما فيه من خلل، ويغفر لنا الزلل، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الهـــوامش

(1) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8، 103/5؛ والأزدي، محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، عدد الأجزاء: 3، 924/2؛ والجوهري، إسماعيل بن حماد، (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ– 1987م، عدد الأجزاء: 6، 1155/2؛ والرازي، أحمد بن فارس، (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ– 1979م، عدد الأجزاء: 6، 32/5؛ والزمخشري، محمود بن عمر، (المتوفى: 538هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ– 1998م، عدد الأجزاء: 2، 104/2؛ والرازي، محمد بن أبي بكر، (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت– صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ/ 1999م، عدد الأجزاء: 1، 361؛ وابن منظور، محمد بن مكرم، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة– 1414هـ، عدد الأجزاء: 15، 386/7؛ والسمين الحلبي،أحمد بن يوسف (المتوفى: 756هـ) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417هـ– 1996م، عدد الأجزاء: 3،4/342؛ والفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ– 2005 م، عدد الأجزاء: 1، ص684.

(2) الأصفهاني، الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية–

دمشق بيروت،الطبعة: الأولى- 1412هـ، 685/1، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، 342/3.

(3) أبو حيان، محمد بن يوسف، (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت،الطبعة 1420 هـ، 481/6.

(4) ابن عادل، عمر بن علي، (المتوفى: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى،1419هـ -1998م، عدد الأجزاء:11،471/20.

(5) الشوكاني، محمد بن علي، (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى- 1414هـ، 260/4.

(6) قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْيْسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد:31].

(7) الكفوي، أيوب بن موسى (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة- بيروت، عدد الأجزاء: 1، ص978، 985.

(8) التميمي، عبد الرحمن بن حسن، (المتوفى: 1285هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1377هـ/1957م، ص359.

(9) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، 103/5؛ والأزدي، محمد بن الحسن بن،جمهرة اللغة، 924/2؛ وابن سيدَه، المحكم والمحيط الاعظم 283/6.

(10) انظر: الطبري، محمد بن جرير، (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م، عدد الأجزاء: 17،113/24.

(11) أبو السعود، محمد بن محمد (المتوفى: 982هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 81/5.

(12) الرازي، محمد بن عمر، (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة- 1420هـ، 151/19.

(13) السمين الحلبي،أحمد بن يوسف، (المتوفى: 756هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،عدد الأجزاء: 11، 166/7.

(14) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 102/20.

(15) الرازي، مفاتيح الغيب، 101/25.

(16) الرازي، مفاتيح الغيب،465/27.

(17) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 490/21.

(18) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة- 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4،205/4.

(19) الرازي، مفاتيح الغيب، 573/27.

(20) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 315/9.

(21) انظر: ابن الخطيب، محمد محمد، (المتوفى: 1402هـ)، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، 1383هـ- 1964 م، عدد الأجزاء: 1، ص347.

(22) الرازي، مفاتيح الغيب، 598/27.

(23) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، 262/7.

(24) ينظر: الكفوي، الكليات، 985/1.

(25) انظر: ابن منظور، لسان العرب، 6/ 259؛ والأزدي، جمهرة اللغة، 1/ 238.

(26) العسكري، الحسن بن عبد الله، (المتوفى: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ، عدد الأجزاء: 1، 436.

(27) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (المتوفى: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم، مؤسسة الرسالة- لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ- 1984م، عدد الأجزاء: 1، ص633.

(28) وقال : ماعدا ماجاء في سورة الرعد الآية [31] فإنها بمعنى العلم، انظر: الكفوي، الكليات 978/1.

(29) انظر: الفراهيدي، العين، مادة سأم.

(30) ابن منظور، اللسان، مادة : سأم.

(31) الراغب، المفردات، مادة : سأم.

(32) ينظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ- 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5، 152/1.

(33) انظر: ابن حجر، أحمد بن محمد، (المتوفى: 974هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1407هـ- 1987م، عدد

الأجزاء: 2، 150/1.

(34) انظر: ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله (المتوفى: 1233هـ)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2002م، ص438؛ والحماد، إبراهيم بن عبد الله، القنوط من رحمة الله، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 89، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء: 89،95/ 179.

(35) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984 هـ، 9/2.

(36) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (المتوفى: 751هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ– 1996م، عدد الأجزاء: 2، 371/2.

المـــراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد، (المتوفى: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية– بيروت، 1399هـ– 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى– محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، (المتوفى: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم، مؤسسة الرسالة– لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ– 1984م، عدد الأجزاء:1.

ابن الخطيب، محمد محمد، (المتوفى: 1402هـ)، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية، الطبعة السادسة، 1383هـ– 1964م، عدد الأجزاء: 1.

ابن حجر، أحمد بن محمد، (المتوفى: 974هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1407هـ– 1987م، عدد الأجزاء: 2.

ابن عادل، عمر بن علي، (المتوفى: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ–1998م، عدد الأجزاء:20.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر– تونس، 1984هـ.

ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله (المتوفى: 1233هـ)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2002م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (المتوفى: 751هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ– 1996م، عدد الأجزاء: 2.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة– 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

أبو السعود، محمد بن محمد (المتوفى: 982هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

أبو حيان، محمد بن يوسف، (المتوفى: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، الطبعة 1420هـ.

الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، عدد الأجزاء: 3.

الأصفهاني، الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت، الطبعة: الأولى– 1412هـ.

التميمي، عبد الرحمن بن حسن، (المتوفى: 1285هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1377هـ/1957م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ– 1987 م، عدد الأجزاء: 6.

الحماد، إبراهيم بن عبد الله، القنوط من رحمة الله، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 89، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد الأجزاء: 95.

دراسات، (قواعد التدبر الأمثل) للشيخ الميداني: تحليل ونقد، النصيرات، جهاد، 2016م، مجلد 43 ملحق 3.

دراسات، التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات، النصيرات، جهاد، 2013م، مجلد 40، عدد: 1.

دراسات، تلوين الخطاب في الصيغ الصرفية والنحوية من خلال تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم، النصيرات، جهاد والنعانعة، خالد، مخطوط، مقبول للنشر، 2016م.

الرازي، أحمد بن فارس، (المتوفى: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ– 1979م، عدد الأجزاء: 6.

الرازي، محمد بن أبي بكر، (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ/ 1999م، عدد الأجزاء: 1.
الرازي، محمد بن عمر، (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة- 1420هـ.
الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة- 1407هـ، عدد الأجزاء: 4.
الزمخشري، محمود بن عمرو، (المتوفى: 538هـ) أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998 م، عدد الأجزاء: 2.
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (المتوفى: 756هـ) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417هـ- 1996 م، عدد الأجزاء: 4.
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (المتوفى: 756هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: 11.
الشوكاني، محمد بن علي، (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى- 1414هـ.
الطبري،محمد بن جرير، (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000 م، عدد الأجزاء: 24.
العسكري، الحسن بن عبد الله، (المتوفى: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ، عدد الأجزاء: 1.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.
الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ- 2005 م، عدد الأجزاء: 1.
الكفوي، أيوب بن موسى (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة- بيروت، عدد الأجزاء: 1.

The Ɣerm of (Dispirit) in the HOLY QURAN

*Heya almtiry, Jihad Alnusairat**

ABSTRACT

This study handles with the term of (Dispirit) in the HOLY QURAN throughout contextual figurative way. The aforementioned term is discussed within its fluctuating as well as synonyms figuratively so as to get the different meanings of the term by which it deeply justifies the inside relations between the meanings. Furthermore, it involves the understanding of lingual differences between synonyms. This leads to prove the indication of each synonym within the context it is mentioned in.All the above results in a stream of Ijaz in the HOLY QURAN.

Keywords:. Terms, Context, Dispirit, Semantic Study.

* Faculty of Sharia, The University of Jordan, Jordan. Received on 23/4/2017 and Accepted for Publication on 21/10/2017.